

روح المعاني

رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فنزلت يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر وأخرج البخاري في تاريخه والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن عدي وابن مردويه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صنفا من أمتي ليسلها في الإسلام نصيب المرجئة والقدرية أنزلت فيهم آية في كتاب الله إن المجرمين في ضلال وسعر إلى آخر الآيات وكان ابن عباس يكره القدرية جدا وأخرج عبد بن حميد عن أبي يحيى الأعرج قال سمعت ابن عباس وقد ذكر القدرية يقول : لو أدركت بعضهم لفعلت به كذا وكذا ثم قال : الزنا بقدر والسرقة بقدر وشرب الخمر بقدر .

وأخرج عن مجاهد أنه قال : قتل ابن عباس : ما تقول فيمن يكذب بالقدر قال : أجمع بيني وبينه قلت : ما تصنعه قال أخنقه حتى أقتله وقد جاء ذمهم في أحاديث كثيرة منها ما أخرجه أحمد وأبو داود والطبراني عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لكل أمة مجوس ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر إمرؤوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم وجوز كون المعنى إنا كل شيء خلقناه مقدرًا محكمًا مستوفي فيه مقتضى الحكمة التي يدور عليها أمر التكوين فالآية من باب وخلق كل شيء فقدره تقديرا ونصب كل بفعل يفسره ما بعدها أي إنا خلقنا كل شيء خلقناه وقرا أبو السمال قال : ابن عطية وقوم من أهل السنة برفع كل وهو على الابتداء وجمله خلقناه هو الخبر وبقدر متعلق به كما في القراءة المتواترة فتدلالة الآية أيضا على أن كل شيء مخلوق بقدر ولا ينبغي أن تجعل جملة خلقناه صفة ويجعل الخبر بقدر لاختلاف القراءتين معنى حينئذ والأصل توافق القراءات وقال الرضي : لا يتفاوت المعنى لأن مراده تعال بـكل شيء كل مخلوق سواء نصبت كل أو رفعته وسواء جعلت خلقناه صفة مع الرفع أو خبرا عنه وذلك إنا خلقنا كل شيء بقدر لا يريد سبحانه به خلقنا كل ما يقع عليه اسم شيء لأنه تعالى لم يخلق جميع الممكنات غير المتناهية واسم الشيء على كل منها وحينئذ نقول : إن معنى كل شيء خلقناه بقدر على أن خلقناه هو الخبر كل مخلوق مخلوق بقدر وعلى أن خلقناه صفة كل شيء مخلوق كائن بقدر والمعنيان واحد إذ لفظ كل في الآية مختص بالمخلوقات سواء كان خلقناه صفة له أو خبرا وتعقبه السيد السند قدس سره بأنه لقائل أن يقول : إذا جعلنا خلقناه صفة كلال معنى كل مخلوق متصف بأنهم مخلوقنا كائن بقدر وعلة هذا لا يمتنع نظرا إلى هذا المعنى أن يكون هناك مخلوقات غير متصفة بتلك فلا تندرج تحت الحكم وأما إذا جعلناه خبرا أو نصبا كل شيء فلا مجال لهذا الاحتمال نظرا إلى نفس المعنى المفهوم من الكلام فقد اختلف المعنيان قطعاً ولا يجديهما نفعاً متصف بتلك الصفة في الواقع لأنه يفهم من خارج الكلام ولا شك أن المقصود ذلك المعنى

الذيلا احتمال فيه وذكر نحوه الشهاب الخفاجي ولكونا لنصب نصاب في المقصود اتفقت القرآت المتواترة عليه مع احتياجه إلى التقدير وبذلك يترجى على الموهوم لخلافه وإن لم يحتج إليه .

وما أمرنا إلا واحدة أيما شأننا إلا فعلة على نهج لا يختلف ووتيرة لا تتعدد وهي الأيجاد بلا معالجة ومشتقة أو ما أمرنا إلا كلمة واحدة وهي قوله تعالى : كن فالأمر مقابل النهي وواحد الأمور فإذا أراد D شيئاً قال له : كن فيكون كلمح بالبصر .

50 .

- أي في السير والسرعة وقيل : هذا في قيام الساعة فهو كقوله تعالى : وما أمر الساعة إلا كلمح البصر ولقد أهلكنا أشياءكم أي أشباهكم في الكفر